

معالم الكارثة القادمة دون أي تجميل سياسي



08 يناير 2019 - 08:01

عبير ثابت

لقد دخلت الحالة الفلسطينية عشية 14/حزيران/ 2007 نفق مظلم لم تحسب نتائجه آنذاك: ولكنها اليوم تمر بمنعطف خطير أكثر حلكة وظلام؛ حيث تختفي أي معالم للحد الأدنى من التوافق الوطني أو حتى الانساني المنطقي؛ وذلك مع تزايد الهوة بين حركتي فتح وحماس؛ ومع إصرار حركة حماس على منع الاحتفال بانطلاقة الثورة الفلسطينية وما رافقته من حملة اعتقالات وترهيب لكوادر حركة فتح في قطاع غزة؛ ولولا الحكمة التي تحلت بها حركة فتح بقرارها إلغاء الاحتفالية لربما كنا أمام فصل دموي جديد في شوارع قطاع غزة تسيل فيه دماء أبناء الوطن الواحد بأيدى فلسطينية في مشهد عبثي ينم على ضحالة الوعي السياسي لأولئك الذين يعتقدون أن لغة القوة والترهيب تصلح كلغة تخاطب بين أبناء الوطن الواحد؛ ولم ينتبه أولئك إلى صوت طائرات الاحتلال التي كانت تقصف مواقع للمقاومة؛ وكذلك لم ينتبهوا لصوت لغة القوة التي تخاطب بها إسرائيل الجميع؛ ولم يدركوا أن تلك اللغة تستمد قوتها من فرقتنا وتناحرنا على الوهم.

إننا اليوم أمام مرحلة خطيرة وحاسمة تدار بحكمة وتخطيط من قبل أعداء الشعب الفلسطيني وأهم مضامين هذه المرحلة هو كسر التمثيل السياسي الموحد للشعب الفلسطيني؛ وهو ما يتطلب تحويل الانقسام الفلسطيني إلى انفصال سياسي دائم تكون نتيجته ظهور أكثر من ممثل سياسي للشعب الفلسطيني؛ والهدف من ذلك تجزئة الحقوق السياسية للشعب الفلسطيني التي تضمنتها الشرعية الدولية في قراراتها المتواترة باعتبار الشعب الفلسطيني وحدة سياسية واحدة على إقليم موحد وذو قيادة موحدة ممثلة في منظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي ووحيد له أينما وجد . ونجاح أعداء الشعب الفلسطيني في تحويل الانقسام إلى انفصال سياسي سيوفر لهم الغطاء السياسي لتمير صفقة القرن بعيدا عن مقررات الشرعية الدولية؛ وهو ما سيمكنهم من مفاوضة كل طرف فلسطيني على ما تحت سيطرته من الشعب؛ وعندما لن يكون بمقدور أي طرف فلسطيني أن يطالب بأى حقوق جمعية شرعية فلسطينية بل سيكون مضطرا للتفاوض على ما بحوزته؛ وهذا ما جرى ويجري عمليا مع قطاع غزة منذ 2007.

فأى مفاوضات أجريت منذ ذلك التاريخ لم تكن إلا مفاوضات مطلية خاصة بقطاع غزة بعيدا عن أي معاني سياسية تخص القضايا الجمعية السياسية للشعب الفلسطيني؛ وبما فيها اتفاق أو تفاهات الهدنة الأخيرة برغم ما تمثله من معاني سياسية واضحة المعالم عن بلورة كيان فلسطيني سياسي في القطاع؛ ولم تخفى التسريبات المعلنة عن صفقة القرن أنه أحد أسسها؛ ولكن في المقابل فإن حركة حماس لا زالت تفتقد رسميا لأى غطاء سياسي شرعي يمكنها من أن تكون طرف سياسي في أي ترتيبات سياسية قائمة للتسوية الأمريكية؛ ولا زالت مصنفة ضمن قوائم الإرهاب في الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي؛ وكانت على وشك أن تصنف حركة ارهابية بقرار دولي ولولا تدخل منظمة التحرير وجهودها المضنية في منع صدور القرار بالأغلبية وإقرار مبدأ الثلاثين في تمير القرار لكانت حركة حماس اليوم مدانة بالإرهاب عبر قرار من الجمعية

العامة؛ وهنا على حركة حماس إدراك أن هناك ثمن سياسي سيكون لزاما عليها دفعه في المستقبل القريب إذا أرادت الاستمرار في تفردا بالسيطرة على القطاع لتمنح شرعية التمثيل السياسي لقطاع غزة؛ وهو ببساطة قبول تمرير صفقة القرن التي جوهرها قيام كيان فلسطيني سياسي بمعزل عن الضفة الغربية عبر اتفاق لا علاقة له بمبادئ الشرعية الدولية وقراراتها الجمعية الخاصة بالقضية الفلسطينية.

هذا هو الثمن المطلوب أن تدفعه حماس لإصباح الشرعية على واقع وجودها العملي كحاكم فعلي للقطاع؛ وكل ما يقال من تبريرات وتصريحات لرفض صفقة القرن ليس إلا ذرا للرماد في العيون؛ وهذا هو الواقع الذي نراه كل يوم يكرس أننا أمام كيان فلسطيني يتبلور شيئا فشيئا في قطاع غزة لا ينقصه إلا الشرعية التي لا تعدو كونها مسألة وقت.

واليوم من يريد مقاومة صفقة القرن واسقاطها عليه أن يسارع بإنهاء الانقسام الفلسطيني وتوحيد الأرض الفلسطينية المتبقية لنا تحت قيادة منظمة التحرير؛ لأنها العنوان السياسي الشرعي الذي منحه العالم الاعتراف به كمثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني؛ وعلى حركة حماس إدراك أنها شاءت أم أبت ستتحمل الجزء الأكبر من المسؤولية التاريخية على النتائج الاستراتيجية الكارثية المترتبة على انفصال قطاع غزة وخروجه من الصراع الفلسطيني الاسرائيلي؛ وعلى حركة حماس إدراك المخاطر التي تتطوى عليها المرحلة القادمة.

ولكن ما زال أملنا في أشقائنا المصريين كبير وثقتنا بها عالية في تدارك الأمور لمنع وقوع تلك الكارثة التي توشك أن تقع على رؤوسنا جميعا ببذل المزيد من الجهود المصرية لتفعيل اتفاقات المصالحة وإنهاء الانقسام الفلسطيني باعتبارها الأم وليس الشقيقة الكبرى للفلسطينيين ولكل العرب .
لقد أوشك الوقت على النفاذ يا سادة .. والفرصة الأخيرة قاربت على الضياع .

Politcal2009@outlook.com